الهروب من الجنة

كادت عبارة "الهروب من الجنة" أن تصبح وقفا على الصحافة الاسرائيلية، وأمها الصحافة الغربية، فقد تجندت وسائل الاعلام في العالم الرأسمالي بكامل قوتها للسخرية من الأقطار الاشتراكية، لا سيما الاتحاد السوفييتي، لدى كل حادث هرب من الشرق الى الغرب.

واصبح أمرا مألوفا في أبواق الغرب والمغتربين أن نقرأ يوميا تقريبا أنباء الهروب من "جنة الشيوعية"، ومن صقيع ما وراء الستار الحديدي وما شابه.

اذا هرب شاعر من روسيا فهو ليس مجرد شاعر بل يصبح بقدرة الاعلام الغربي أعظم الشعراء وأفضلهم وأرقاهم.

واذا هربت راقصة باليه فهي الأخرى ليست مجرد راقصة باليه، بل هي أعظم باليرينا في العالم قاطبة وهي مثقفة وفيلسوفة وعالمة اجتماع واقتصاد وسياسة وكل ما تشاؤون.

واذا اختطف احدهم طائرة ركاب ليهرب بها الى الغرب فانه يصبح على الفور بطلا من أبطال الحرية وعلما من أعلام النضال في سبيل حقوق الانسان، حتى لو كان جاسوسا يخشى افتضاح أمره، أو مجرد مواطن تراكمت ديونه لدى البقال المجاور، أو أنه أصيب بنوبة غضب حادة جراء تصرف زوجته أو ابنته في هذا الاتجاه أو ذاك.

وقد يكون الملل أو الكسل أو الطموح غير المبرر أو البلبلة المتأتية عن عمليات غسل الدماغ الاعلامية أو أي سبب آخر وراء هروب مواطن ما من دولة اشتراكية. غير أن أجهزة الاعلام الغربية تحوله بلا رفة هدب الى محارب من أجل الضمير والكرامة الانسانية وحقوق البشر الأولية.

وكل هؤلاء باختصار "هاربون من جنة الشيوعية". وكلهم يقيمون الدليل على أن الجنة الحقيقية هي الغرب وفي الغرب فقط.

ألفيروسات لا تقرأ. ومن ثم فهي لا تقرأ صحف الغرب والمغتربين. وهي تنتقل على هواها متخطية الحدود والأنظمة. فيروس الهرب هو الآخر، أسوة بأشقائه قابل للانتقال بحرية تامة من هذا القطر الى ذاك. وحين يكون الهرب بأتجاه عكسي فان لهجة الأبواق الغربية والمغتربة تتغير كما الحرباء.

في الآونة الأخيرة، مثلا، هرب لاعب كرة قدم اسرائيلي (ايلي بوناني- ١٨ سنة) من معسكر تدريب في يوغسلافيا. وهرب رجل مخابرات اسرائيلي في كندا (فكتور أوستروفسكي). وقبلهما كانت قضية مردخاي فعنونو. ويستطيع المرء ان يبتسم قليلا حين يتابع ردود الفعل المحلية. فلاعب كرة القدم ليس خسارة كبيرة ورجل المخابرات كان دائما شخصا فاسدا وفعنونو يفتقر تماما الى الاتزان.

وهكذا فالهرب من "جنة اسرائيل" شيء والهرب من "جنة الرأسمالية" شيء والهرب من "جنة الشيوعية" شيء آخر.

«العربي» ١٩٩٠/٩/٢١